

"الآثار الصحية للإحتباس الحراري: التحدي الأخطر لمستقبل البشرية!"

. حسن يوسف حطيظ*

تواجه البشرية جمعاء في أيامنا الحالية مخاطر عديدة ناتجة عما يعرف في أوساط العامة و الخاصة بالإحتباس الحراري و الذي ستكون له عواقب سيئة جداً و نتائج خطيرة على الحياة بشكل عام و على الجنس البشري بشكل خاص في المستقبل القريب. تعددت الدراسات العلمية و الإقتصادية حول الموضوع و مخاطره الأنية و المستقبلية كما تعددت الرؤى و الآراء حول كيفية تفادي المخاطر, دخل الموضوع بإشكالاته المتعددة عالم السياسة المحلية و الدولية و انقسمت حوله الأطر و المنظمات و الهيئات الدولية ما بين مطالب بإجراءات سريعة و حاسمة و بين مطالب بسياسات و قائية هادئة و طويلة المدى كما نشأت محاور سياسية متعددة انقسم فيها العالم بين قطبي الدول الغنية و الفقيرة أو بين مجموعتي الدول الصناعية و النامية.

"ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدي الناس" ... أسباب الكارثة ونتائجها الكارثية:

أجمع العلماء الجيولوجيون و علماء الفيزياء و الطبيعة و المناخ على اختلاف مشاربهم و مذاهبهم أن هناك ارتفاعاً ملحوظاً و متزايداً في درجة حرارة الأرض و أن هذا الإرتفاع المتسارع و الجديد في حياة الأرض ناتج عن أسباب تعود بشكل عام إلى دور الإنسان الحديث في تحطيم دفاعات الأرض الطبيعية و العبث بموازينها الثابتة و المنسجمة مع قوانين الطبيعة و الحياة. تسبّب تسريع الإنسان الحديث لعجلات "تنميته" الصناعية و الزراعية و الإقتصادية بشكل عام و تعدياته المستمرة على مصادر و مخازن الأوكسجين في الطبيعة كالغابات و المراعي و الجبال بحجة إنشاء الطرق و المجمعات السكنية و التجارية و وسائله المفرطة في استخراج و استخدام الطاقة و إسهامه المستمر في انبعاث الغازات السامة المضرة بالبيئة و إلى ظهور مشاكل بيئية معقدة و عصية على المعالجة و إيجاد و تطبيق الحلول الناجعة. هذه السياسات الخاطئة و الخطيرة أدّت فيما أدّت إلى زيادة حرارة الأرض و ازدياد كثافة الغازات السامة المنبعثة و إلى ازدياد خطر الفيضانات و الأعاصير و الجفاف و لحرّ الشديد و التصدّر و موت الغابات و تدني نوعية مياه الشفة و السيول الجارفة و ارتفاع نسبة الأمطار الموسمية و تفاقم مساحة و كمية المياه في بعض مجاري الأنهر و البحار على حساب المناطق المؤهلة للسكن و المراعي و الزراعة. كل ما سبق يسهم و سيسهم تدريجياً بشكل أو بآخر في تغيير البيئة الطبيعية التي تعطي و تحمي و تغطي إحتياجات الإنسان الحياتية كالغذاء و التكامل البيئي و التوازن الطبيعي البيئي و القدرة على مقاومة الأمراض و مواجهة الظواهر الطبيعية و

المناخية، مما يعيق وسيعيق الحياة و النمو في المجتمعات الفقيرة أو النامية على الخصوص عبر ازدياد معدل الوفيات فيها و انتشار الأوبئة و الأمراض الفتاكة و تدني كمية الغذاء و نوعية الهواء و تضرر المحاصيل الزراعية و انعدام تربية المواشي و فقدان مياه الشفة و تفاقم الهجرات بسبب تفاقم الكوارث و قسوتها!.

الآثار الصحية للإحتباس : تهديدات كبيرة و نتائج خطيرة!:

تمثل الآثار الصحية لظاهرة الإحتباس الحراري التحدي الأكبر الذي سيواجه البشرية في المستقبل المنظور إذ بالإضافة إلى نتائجها الخطيرة على مختلف الأصعدة الصحية و الإجتماعية و الإقتصادية و السياسية سيكون لها الدور الأكبر في البشرية على مختلف الصعد و ستؤدي إلى كوارث متعددة و متنوعة تفتك أولاً بالمجتمعات و الدول الفقيرة ثم تهدد ثانياً مصير المجتمعات المتقدمة و الغنية عبر الأوبئة (على مصادر المياه

الغذاء و حتى الهواء!.

تتداول المنظمات الدولية و منها منظمة الصحة العالمية و غيرها كمعاهد الأبحاث و المؤسسات الصحية المتخصصة بعضاً من الأخطار المتوقعة و الأوبئة و الكوارث الصحية القادمة و التي بنظر البعض تشكل بمجموعها فقط رأس الجبل الجليدي الزاحف قاة البشرية جمعاء في السنوات المقبلة!.

لم يستطع أحد إلى الآن حصر الآثار الصحية المتوقعة في المستقبل القريب و البعيد لهذا التهديد القادم و لهذا التحدي الكبير الذي سيواجه الإنسان المستقبلي. و يكفينا هنا أن نلقي و أن نستعرض بعضاً من هذه

المتعرضة حالياً لظاهرة الإحتباس الحراري و الصادرة عن بعض معاهد الأبحاث و بعض الإحصائيات الجديدة و الدراسات العلمية الحديثة، و أهمها:

- (بسبب الفيروسات و الطفيليات و الفطريات) بين الحيوانات (خاصة الطيور و الحيوانات الأليفة) و النباتات البرية و البحرية (زيادة مخاطر انتقالها إلى البشر.

- إزدياد نشاط و تكاثر " " (كالمالريا و حمى الضنك) و البعوض و تسارع نموها و انتشارها في الأماكن الحارة أو المتضررة

مناخياً بسبب طول الحرّ الشديد و طول فصول الصيف و تزايد قدرتها على الوصول إلى أماكن لم تكن قادرة على العيش فيها كأعالي الجبال و المحميات الباردة.

- إزدياد حالات الإسهال و الإشكالات المصاحبة أو الناتجة بسبب تدني نوعية مياه

- إزدياد حالات الربو و الحساسية بسبب إزدياد معدلات التلوث في الهواء و إزدياد تركيز نسبة أكسيد الكربون و نسبة حيوب اللقاح المسببة للحساسية في الجو.

- تكاثر الأعشاب الإستوائية السامة و إزدياد قدرتها على تلويث المصادر الغذائية البحرية و البرية.

- إزدياد معدلات الوفاة بين الرجال أكثر مرتين من معدلات الوفاة عند النساء من اللواتي يعشن في نفس الظروف المناخية الحارة إذ ثبت علمياً أن قلوب النساء أكثر

!.

لا يمكن للإنسان المعاصر أن يبقى مكتوف اليدين أمام هول البلايا الذي ستصيبه عاجلاً أم آجلاً كما لا يمكن للحكومات و الدول أن تبقى متجاهلة لهول المشكلة التي تهدد مجتمعاتها و لا يمكن للمنظمات الدولية المسؤولة أن تبقى تتجاذب النقاشات و النزاعات حول كيفية مواجهة الأخطار القادمة و كيفية تمويل الحملات الوقائية و الإرشادية، بل على الجميع أن يعوا أن مصير الجميع مهدد فالتصحر و الجفاف و ندرة المياه الصالحة للشرب و موت الغابات و المراعي و الأعاصير و غيرها من الكوارث القادمة لن تميز بين دولة و أخرى أو بين غني و فقير و الأمراض و الأوبئة و الآفات ر أهداً و إن كانت ستبدأ بالفتك بالمجتمعات الفقيرة فلن يمنعها غنى المجتمعات الغنية من تهديد كياناتها و التعرض لمجتمعاتها و الإجهاز عليها شيئاً فشيئاً .
أصورة قائمة جداً و المسؤولية ملقاة على الجميع و على الأخص على الذين يستطيعون تفادي الكارثة عبر مساهماتهم الجدية في إبعاد شبحها القادم بالتخطيط و التوعية و الوقاية و الإرشاد و الابتعاد عن السياسات الخاطئة و إصلاح الضرر الحاصل حالياً و نبذ الوسائل المضرة في المستقبل و تجريمها عالمياً حتى لا يصبح آخر موجود على وجه الأرض: "و لات حين مناص"!!.

* جة و الخلايا و رئيس شعبة في هيئة الصحة,

